التضامن العثماني مع مسلمي الأندلس

Ottoman Solidarity with the Muslims of Al-Andalus

سي عبد القادر عمر♦

جامعة أبو بكر تلمسان si62s@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/01 تاريخ القبول: 2023/06/17 تاريخ النشر: 2023/06/03

الملخص: لقد تعرض الأندلس بعد ضعف الدولة الاموية وتراجع دور المرابطين والموحدين الى هجمات مسيحية عديدة وخاصة بعد هزيمة حصن العقاب، حيث تجدد الغزو المسيحي وتمكن النصارى من السيطرة على العديد من الحواضر والحصون الاندلسية، هذه الأوضاع أدت الى انحصار الوجود الإسلامي في مملكة غرناطة، ومع اشتداد الضغط المسيحي على المسلمين وتدهور أوضاعهم ، لجا أهل الأندلس الى الاستنجاد بإخوانهم في بلاد المغرب والمشرق الإسلامي لطلب العون والمساعدة، وخاصة من الدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية في تلك المرحلة، وقد بذلت جهدا كبيرا لمساعدتهم وتقديم الدعم خاصة بعد تواجدها في الجزائر وسيطرتها على الحوض الغربي للمتوسط، حيث تمكن البحارة الاتراك من ابداء تضامن كبير مع مسلمي الاندلس وإنقاذ العديد من المهاجرين الأندلسيين، الا أن هذا التضامن والدغم لم يكن كافيا لإنقاذ الأندلس والحفاظ على الوجود الإسلامي فيه، ومن خلال هذا المقال سنحاول توضيح الأسباب التي كانت وراء فشل الدول الإسلامية وخاصة العثمانيين في الوقوف في وجه المد المسيحي في الجزيرة الإبيرية .

الكلمات المفتاحية: الأندلس، النصارى، مملكة غرناطة، الدولة العثمانية، البحارة الأتراك، **الأندلسيين.**

Abstract:. The fall of the Umayyad caliphate of Cordoba, followed by the receding of the Almoravids and then the Almohads, especially after the battle of Las Navas and the subsequent renewal of the Reconquista, left the Islamic presence in Spain confined to the kingdom of Granada. Due to increased pressure from the

♦ المؤلف المرسل

Christians, the Muslims of al-Andalus sought aid from their brethren in the Mashriq and Maghrib, particularly from the Ottoman Empire which represented the Islamic caliphate during this period. The Ottomans furnished aid and support to the Andalusis especially after they established themselves in Algiers and came to dominate much of the western Mediterranean basin. The fleets of the Turks came to the support of the Andalusis and rescued many of them. Was this aid sufficient to protect the Islamic presence in Al-Andalus? We will try to answer this question in this article and clarify the reasons that were behind the failure of the Islamic states of the time, especially the Ottomans, in halting the Christian expansion in the Iberian Peninsula.

Keywords: Andalus ; Christians ; Kingdom of Granada; Ottoman Empire ; Ottoman navy

مقدمة:

لقد تمكنت الدولة العثمانية الناشئة في أسيا الصغرى من التوسع والسيطرة على العالم الإسلامي، واعادت له هيبته بعد سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد، وقد بذلت هذه الدولة جهود كبيرة لحماية العالم الإسلامي من الغزو الأجنبي الصليبي في بلاد المشرق والمغرب، ونظرا للانتصارات الكبيرة التي حققتها في حوض البحر المتوسط جعلت أهل بلاد المغرب الإسلامي يستنجدون بها لحماية سواحلهم من الغزو البرتغالي والاسباني.

وفعلا فقد تمكنت الدولة العثمانية من تقديم مساعدات كبيرة للمغرب الأوسط والمغرب الأدنى، حيث استعادت هذه الدول سواحلها ثم أعلنت انضمامها للدولة العثمانية التي فرضت سيطرتها على الحوض الغربي للمتوسط، وفي هذا الوقت كان الوجود الإسلامي في الأندلس في أيامه الأخيرة بعد سقوط مملكة غرناطة آخر معقل المسلمين في الأندلس، وقد تعرض الأندلسيون الى أنواع التعذيب والتنكيل خاصة بعد استحداث محاكم التفتيش التي تفننت في اصدار الاحكام التعسفية ضد كل من يحمل العقيدة الإسلامية.

هذه الظروف الصعبة التي مر بها أهل الأندلس جعلتهم يستنجدون بإخوانهم المسلمين في المغرب والمشرق وكان من بينهم الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد وسليمان القانوني، وقد بذلت الدولة العثمانية جهدا كبيرا في مساعدة وإنقاذ أهل الأندلس، فهل كان هذا التضامن كافي لإنقاذ مسلمي الأندلس؟ وماهي العوامل التي حالت دون تحقيق هذا المسعى؟ هذه الإشكالية سنحاول الإجابة عنها في هذا المقال

معتمدا المنهج التاريخي في هذه الدراسة، وتكمن أهمية الموضوع غي تسليط الضوء على مرحلة هامة من تاريخ الحكم العثماني في بلاد المغرب، والدور البارز الذي قام به الاسطول الجزائري في مواجهة الغزو الصليبي في المنطقة والهدف الاساسي من هذه الدراسة هو توضيح دور الدولة العثمانية والدعم الذي قدمه الاسطول الجزائري أيام حكم الباي لا رباي خير الدين بربا‌روس، سواء في حماية سواحل بلاد المغرب من الهجمات الأجنبية، أو من خلال دوره في نقل العديد من الأندلسيين الى مدن المغرب الإسلامي،

1-الدولة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط.

لقد تحولت الامارة العثمانية الى دولة قدر لها ان تقود العالم الإسلامي نحو خمسة قرون، هذه الدولة التي سميت نسبة الى مؤسسها عثمان أرطغول بن سليمان شاه الذي حكم بين سنة 1288م الى 1326م، حيث تمكن من وضع أسس دولة قوية، توسعت غربا وشرقا حتى ملكت أجزاء من أسيا وأروبا وافريقيا واحيت الخلافة الإسلامية[1]. ومن أبرز الذين حكموا الدولة العثمانية السلطان محمد الفاتح الذي قام بأعادة تنظيم الدولة وكان له الفضل في فتح القسطنطينية في 29 ماي 1453م وأطلق عليها مدينة السلام[2]،أ ما السلطان سليم الأول 1512م 1520م فقد احدث تغيرا جذريا في سياسة الدولة الجهادية حيث توقف الزحف العثماني نحو الغرب الأوربي واتجه نحو الشرق الإسلامي للقضاء على الدولة الصفوية الشيعية في ايران لحماية العالم السني، كما ضم دولة المماليك في مصر والشام وقام بحماية الأراض المقدسة، ثم دعم حركة الجهاد البحري في شمال افريقيا للقضاء على الهجمات الاسبانية والبرتغالية[3].

أما ثالث السلاطين من حيث القوة والاستقرار هو سليمان القانوني الذي تولى الحكم سنة 926ه 1520م الى 974ه 1566م وفي عهده بلغت الدولة أوج قوتها واتساعها، حيث تمكن من بناء أسطول قوي لمواجهة أعداء الإسلام، كما عمل على توحيد بلاد

1محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح احسان حقي، دار النفائس بيروت 2003م ص115.

2 محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2004م ص65.

3 -علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار المعرفة بيروت 2006م ص191.

المغرب وضمها الى الخلافة الإسلامية، ثم واجه الاسبان الذين أجبروا المسلمين على الرحيل من الأندلس[4].

لقد كان لهؤلاء السلاطين دورا بارزا في مواجهة الصلبيين خاصة في سواحل بلاد المغرب، بعد أن تمكن الاسبان من السيطرة على سواحل المغرب الإسلامي حيث احتلوا المرسى الكبير سنة 1505م ووهران سنة 1509م ثم بجاية التي كانت تحت الاحتلال الحفصي سنة 1510م، مستغلين التمزق والضعف والفوضى التي اصابت بلاد المغرب، وبما أن أخبار بطولات الاخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط كانت قد وصلت الى مسامع أهل المغرب، وهذا ما دفعهم وخاصة أهل الجزائر الى الاستنجاد بالأخوة بربروس.[5]، لقد لبى هؤلاء الإخوة نداء سكان مدينة الجزائر بعدما كان قد حرر جيجل من جنود جنوة، فاتجه الى مدينة الجزائر وحررها وقام بتحصين القصبة ووضع عليها حاميات تركية[6] ،و منها بدأ نفوذ الاخوة بربروس يتوسع الى باقي المدن مثل دلس والمدية وملیانة ثم توجه نحو تلمسان التي استنجد أهلها بالأتراك بعد تحالف بني زيان مع الاسبان، وتمكن عروج من إعادتها الى سلطته لكن أبو حمو الثالث تحالف مع الاسبان الذين سيطروا على تلمسان، فخرج منها عروج الا أن حامية اسبانية وبالتعاون مع أبي حمو الثالث لحقت به واستشهد سنة 1518م[7].

وبعد هذه التطورات تمكن خير الدين من صد الحملة الاسبانية على الجزائر في 24 اوت 1519م، وبعدها عمل على ضم الجزائر الى الدولة العثمانية حتى تكتسب نوعا من الحماية من الخطر الأجنبي، فقام السلطان سليم الأول بإرسال نحو 2000 جندي من الإنكشارية وأعلنت تبعية الجزائر رسميا للدولة العثمانية، واخذ خير الدين لقب بايلارباي وبذلك تكونت إيالة الجزائر.

أما في تونس فبعد ان اشتد الخلاف داخل الأسرة الحفصية وضعفت الدولة تمكن الاسبان من احتلال بعض المناطق الساحلية وحصلوا على امتيازات كثيرة، هذا

---

4 إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان الرياض ط1 1996م ص62.

5 عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة ط1 الجزائر 2008م ص87.

6 صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي 1514/1830م، دار هومة الجزائر 2005م ص46.

7 عزيز سامح التر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية بيروت ط1 1989م ص59

الوضع دفع بالوزير أبي الطيب الجفار الى الاستنجاد بالعلج علي والي الجزائر وحرضه على احتلال تونس، فاغتنم هذا الأخير الفرصة وضم تونس الى الدولة العثمانية سنة 1569م[8].

أما طرابلس فقد احتلها الاسبان سنة 1510م واتخذوها قاعدة لعملياتهم الحربية في البحر المتوسط، ثم تنازلوا عنها لفرسان القديس يوحنا في مالطة، وهذا ما دفع أهل طرابلس الى الاستنجاد بالسلطان العثماني سليمان القانوني الذي أرسل قوة بحرية بقيادة مراد اغا، ثم حملة أخرى بقادة سنان باشا سنة 1551م حيث نجح في الدخول الى المدينة وتحطيم التحصينات وبذلك أصبحت طرابلس ولاية عثمانية.[9] وبقدوم الأتراك الى الشمال الافريقي وسيطرتهم على الحوض الغربي للمتوسط أصبحت سواحل بلاد المغرب محرمة على الاسبان، بل وعمل البحارة الأتراك على ملاحقة الاسبان والإغارة على سواحلهم، مما دفع بأروبا المسيحية الى التكتل والتضامن للإطاحة بالقوة البحرية العثمانية.

2-الأندلس بعد سقوط الدولة الموحدية.

لقد مر الأندلس بمراحل تاريخية هامة أثرت على تطوره السياسي، فبعد ضعف وانهيار الدولة الاموية انقسم الى عدة دويلات وإمارات مستقلة عرفت تاريخيا بملوك الطوائف، وقد تبنى بعضهم التحالف مع النصارى بيمنا ذهب البعض الاخر الى طلب النجدة من المرابطين في بلاد المغرب الإسلامي، هؤلاء حاولوا الوقوف بكل حزم في الغزو الصليبي التي تبناها النصارى في الأندلس، وتمكنوا من تحقيق عدة انتصارات على النصارى كان أبرزها معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م[10] ،وبهذه الانتصارات تم انقاذ الأندلس من السقوط، إلا أنه بعد ضعف هذه الدولة وسقوطها تمكن النصارى من استرجاع العديد من المدن مما دفع بأهل الاندلس الى الاستنجاد مرة أخرى بالدولة الموحدية الناشئة، حيث عبر عبد المؤمن بن علي الموحدي الى الأندلس وتمكن من تحرير عدد من المدن، وبعد تراجع دور هذه الدولة وضعفها بسبب ضعف الحكام وانتشار الثورات، تمكن النصارى من تحقيق عدة انتصارات على المسلمين كان ابرزها معركة

8 محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ ال الاستقلال، دار سراس للنشر تونس 1993م ص65.

9 شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو مصرية ط1 1977م ص130.

10 عبد الرحمن بن خلدون، ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ج6 دار الفكر بيروت 2000م ص248.

حصن العقاب 609هـ / 1212م، هذه الموقعة كانت نتائجها حاسمة على الأندلس، فتوالت الهزائم وسقطت معظم مدن الأندلس[11].

وفي هذه الظروف قامت دولة عربية في جنوب الاندلس بقيادة محمد بن يوسف بن نصر والذي عرفت أسرته بابن الأحمر ، وهي أسرة عربية يرجع نسبها الى سعد بن عبادة الانصاري، وفي سنة 634هـ/1237م ثار أهل غرناطة ضد بني هود وأعلنوا طاعتهم لابن الأحمر الذي دخل غرناطة وجعلها حاضرة ومقر حكمه، ثم عمل على ضم المرية ومالقة لحمكه وبذلك ارتسمت حدود الدولة التي جمعت أشلاء الأندلس المنهارة حيث امتدت من جيان ويابسة حتى البحر وشرقا حتى ألمرية وغربا الى الواد الكبير[12] ،وقد اشتملت على ثلاث ولايات كبرى المرية ومالقة وغرناطة، وقد استمرت أكثر من قرنيين من الزمن وهي التي شهدت الفصول الأخيرة من الوجود الإسلامي في الأندلس.

لقدحكم هذه الدولة عدد من السلاطين الأقوياء منهم المؤسس محمد الأول ومحمد الثاني الفقيه ومحمد الثالث الملقب بالمخلوع، وشهدت الدولة في عهدهم مرحلة الازدهارا والرقيا وتمكنت من الوقوف في وجه تهديدات النصارى، أما المرحلة الأخيرة من عمر الدولة فتميزت بالضعف وكثرة المؤامرات التي كانت تنتهي في اغلب الأحيان بقتل الحكام أو عزلهم، كما وصل الأمر ببعضهم الى التحالف مع النصارى،[13] هذه الظروف ساعدت النصارى على استرجاع معظم المدن الأندلسية ولم يبق إلا غرناطة التي تعرضت لحصار شديد دام سبعة أشهر، وبعد أن قلت المؤن وافق أبو عبد الله على توقيع معاهدة التسليم في نوفمبر 897هـ/1491م وبعدها دخل الملك فرديناند والملكة إزبيلا غرناطة ورفع النصارى الصليب فوق برج الحمراء، وبعد فصل جديد من المعاناة بدأ المسلمون في مغادرة البلاد الى معظم المدن الإسلامية بعد أن رحل أبو عبد الله الى بلاد المغرب واستقر بفاس حتى وفاته سنة 940هـ / 1535م[14].

رغم سقوط الأندلس إلا أن مأساة المسلمين استمرت حيث نقض النصارى شروط معاهدة التسليم ومنعوا المسلمين من كل حقوقهم، خاصة بعد ظهور محاكم التفتيش

---

11 شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق ص130.

12 حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ج2 مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد مص، ص199

13 احمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس لرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج4 تح احسان عباس، دار صادر بيروت، ص522.

14 المقري أحمد بن محمد، أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض، ج2 تح مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف القاهرة 1939م ص67.

التي كان هدفها تنصير المسلمين بإشراف الكنيسة، هذه المأساة دفعت جموع المسلمين الى الهجرة نحو البلاد الإسلامية في المغرب والمشرق، بعد أن أصبح من المستحيل العيش في هذه الظروف سواء من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية، وهذا ما جعل بعض العلماء يؤكدون على ضرورة الهجرة للفرار بالدين، ومنهم الونشريسي الذي اصدر فتوى تلزم كل مؤمن بالله بالبعد والفرار عن مساكن الكفار في جوابه عن نازلة حول من غلب على وطنه الكفار ولم يهاجر، فكان جوابه" أن الهجرة من أرض الكفر الى أرض الإسلام فريضة الى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة " ويورد بعض الاحاديث النبوية والآيات القرآنية التي تجعل الهجرة فرض على القادر عليها[15] وبهذه الأسباب تعددت الهجرة الأندلسية في اتجاهات مختلفة بسبب الظلم الذي سلط عليهم بمباركة الكنيسة فكان الفرار بالدين قبل الفرار بالبدن.

3-استنجاد أهل الأندلس بالدولة العثمانية

قبل الحديث عن توجه الأندلسيين الى الدولة العثمانية لا بد من الإشارة الى استنجاد أهل الأندلس بإخوانهم في المغرب والمشرق، ففي عهد ملوك الطوائف استنجد الأندلسيين بالمرابطين ثم بالموحدين ورغم ما قامت به الدولتان من جهود إلا أنهما لم تتمكنا من توقيف المد الاسباني، وبعد سقوط الدولة الموحدية استنجد أهل الأندلس أيضا بالدويلات الثلاث التي ظهرت في بلاد المغرب وهي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، إلا أن هذه الدول في معظمها اكتفت بالدعم المادي والمعنوي كما هو الحال مع الزيانيين والحفصيين.

أما الدعم الحقيقي فق كان من المرنيين الذين قدموا مساعدات عسكرية هامة في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق والسلطان أبي الحسن والسلطان أبي عنان، ورغم هذا الدعم الكبير إلا أن الدولة النصرية لم تتمكن من الصمود امام الغزو النصراني،[16] ومن جهة أخرى استنجد اهل الأندلس بإخوانهم في بلاد المشرق وخاصة المماليك في مصر، هذه الاخيرة كانت علاقاتها بالأندلس وثيقة للغاية طيلة العهد الإسلامي، فقد بعث السلطان الغرناطي أبو الوليد إسماعيل الأول برسالة الى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، كما بعث السلطان محمد الخامس برسالة الى المنصور أحمد بن الناصر،

15 أحمد أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والأندلس والمغرب، ج2 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية المغرب 1981م، ص121.

16 لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تج، محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية القاهرة 1347 هـ، ص80.

وكان الهدف من المراسلات الحصول على المساعدات المادية والعسكرية،[17] وقد استمرت المراسلات بعد ذلك الى غاية سقوط المماليك، وقد اقتصرت المساعدات المملوكية على الدعم الديبلوماسي والتهديد وبالتالي فإن هذا النوع من الدعم لم يف بالغرض المقصود من الأندلسيين.

ونظرا لما حققته الدولة العثمانية في حوض البحر المتوسط وتحريرها لسواحل بلاد المغرب من الاسبان، كان على الاندلسيين التوجه نحو هذه القوة الناشئة، وعليه فقد قاموا بعدة محاولات للاستنجاد بها سواء قبل سقوط غرناطة أو بعدها، وقد جاء هذا التوجه بعد فشل الدول الإسلامية الأخرى في حماية الوجود الإسلامي في الأندلس.

كان أول اتصال بين أهل الأندلس والدولة العثمانية سنة 1477م أي قبل سقوط غرناطة، حيث بعثوا بسفارة الى السلطان محمد الفاتح يطلعونه على الأوضاع السيئة التي آلت إليها الأندلس، ومعانتهم الكبيرة في ضل الحروب والحصار المفروض عليهم من طرف النصارى، وناشدوه التدخل لمساعدتهم وانقاذهم من الحملة الصلبية الكبرى،[18]ولكن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية في هذا الوقت حيث كانت تواجه تحالف صليبي اخر ضم البابا وجمهورية البندقية ونابولي والمجر وفرسان القديس يوحنا، هذا التحالف الذي تمكن من الاستلاء على أزمير وبالتالي لم يتمكن السلطان العثماني من تقديم الدعم[19].

كما بعث أهل الأندلس أيضا برسالة الى السلطان العثماني بايزيد الثاني الذي حكم بين 1480م الى 1511 م، وهذه الرسالة عبارة عن قصيدة شعرية يصور صاحبها مأساة المسلمين في الأندلس، ويستنجد فيها بالسلطان العثماني طالبا المدد والمساعدة على اخراجهم من الوضعية الصعبة التي آل إليها أهل الأندلس وتبدأ الرسالة " الحضرة العلية، وصل الله سعادتها وأعلى كلمتها ومهد أقطارها وأعز أنصارها وأذل أعدائها " الى أن يقول "

17سحر عبد العزيز سالم، بحوث مغربية ومشرقية في التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1 مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997 م، ص203.

18 محمد بن حسين عقيل، استجابات إسلامية لصرخات أندلسية، دار الأندلس الخضراء، جدة 1994م ص98.

19فتحي زغروت، العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس، دار التوزيع والنشر القاهرة 2011م، ص25.

مولانا وعمدتنا وغياثنا مولانا أبو زيد (بيازيد) لا زال ملكه موفور الأنصار، مقرونا بالانتصار ..."[20]

كما تضمنت الرسالة ابيات شعرية يمدح فيها الدولة العثمانية ويشير الى الإنجازات الكبيرة التي حققتها، ومن جهة أخرى يمدح السلطان بيازيد الثاني ويطلعونه على مأساة أهل الأندلس ويجددون له الاستغاثة وطلب المساعدة لتخفيف معاناتهم مع النصارى، وفي الوقت نفسه يطلعه على المراسلات والاستغاثة التي وجهوها الى سلاطين الدول الإسلامية وخاصة المماليك في مصر.

ومما جاء في القصيدة.

ســـَلامٌ كريمٌ دائمٌ متـــــجددٌ أخصُ به مولاي خير خليفةِ

سَلامٌ على مولاي ذي المجدِ والعلاَ ومن ألبسَ الكفارَ ثوبَ المذلةِ

إلى أن يقول:

وقد بدلت أسماؤنا وتحولتَ بغير رضا منا وغير إرادةِ

فآها على تبديلِ دين محمدَ بدين كلابِ الرومِ شر البريةِ

آها على تلكَ المساجدَ سورت مزابلَ للكفار بعد الطهارةِ.

وفي الأخير يقول صاحب القصيدة طلبا للمساعدة على تسهيل الرحيل.

فإجلاؤنا خيرٌ مِن مـــــــقامناَ على الكفرِ في عزٍ على غير ملةِ

وهذا الذي نرجوه مِن عز جاهكم وعندكم تقضي لنا كلَ حاجةِ[21].

فكان رد السلطان بيازيد إيجابي حيث ورغم المشاكل الكبيرة التي كان يعاني منها خاصة صراعه مع أخيه، او صراع الدولة المستمر مع البابوية والدول الأوربية، فرغم كل هذا فقد أرسل السلطان العثماني أسطولا بحريا بقيادة كمال رايس الى الشواطئ الاسبانية ليشعر الاسبان بقوة الدولة العثمانية ويشكل مصدر رعب مستمر للأساطيل

---

20 المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق ص109.

21 محمد بن حسين، المرجع السابق ص96.

المسيحية، ومن جهة أخرى يساهم في نقل المسلمين الفارين من بطش المسحيين، وبهذا الرد يكون السلطان قد أبدى رغبة في مساعدة هؤلاء المستضعفين، وهذا ما يعبر عن شعور الاخوة والتضامن الإسلامي.

وبعد سقوط غرناطة ونظرا لسياسة الاسبان التعسفية تجاه مسلمي الاندلس، ومحاولة القضاء على مظاهر الإسلام، من خلال ما فرضوه على المسلمين من أنواع الاضطهاد والابادة، هذه الظروف حتمت على المسلمين التوجه نحو إخوانهم المسلمين ولذلك راسل أهل الاندلس السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 948هـ/ 1541من يطالبونه لنصرتهم ومساعدتهم على الخروج من الأندلس، وفي هذه الرسالة يصفون الجرائم الوحشية التي كان يرتكبها عمال محاكم التفتيش ضد المسلمين، والقرارات الجائرة التي سلطت عليهم من مسحي الأندلس، ومن تلك الأفعال التي كان يعاقب عليها المسلم، الوضوء والطهارة والصلاة وصوم رمضان وعدم شرب الخمر وعدم أكل لحم الخنزير وقراءة كتب عربية وختان الأطفال وغيرها.[22]

ومما ورد في بداية الرسالة "فإن عبيدك الفقراء المساكين المنقطعين بجزيرة الأندلس، وجملة عدتهم ثلاثمائة ألف وأربعة وستون ألف ... من غرناطة وغيرها، رفعين شكواهم، وما يلاقون من بلواهم باكين متضرعين مستنصرين بعناية مولانا السلطان دام عزه...." ثم ينتقل صاحب الرسالة الى تقديم شكواهم من أهل المغرب حيث لم تكن المساعدة المقدمة كافية، وبالتالي لم يقدموا العون الدائم الازم بين الإخوة في الدين، حيث جاء في الرسالة " وخذلنا جيراننا وإخوتنا ببلاد المغرب من أهل الايمان"[23].

كما تناولت الرسالة طلب أهل الأندلس من السلطان العثماني تعيين خير الدين على الجزائر للعمل على صد العدوان الاسباني المسلط عليهم، وانقاذهم مما يعانون منه، لأنهم كانوا يرون فيه السند الحقيقي، نظرا لما قام به من مجهودات كبيرة وسيطرته على حوض المتوسط، وفي هذا الشأن يقول صاحب الرسالة " عبدكم الوزير الأجل خير الدين المتمثل لأوامر مولانا، ونتاج عز الدنيا والدين فأنه أحيا هذا الوطن، وجميع النواحي والسكن، وأرعب قلوب الكفار..." وتنتهي الرسالة بالتأكيد على ضرورة

22 محمد رزوق الأندلسيين وهجراتهم الى المغرب خلال القرن 16 و17 افريقيا الشرق 1988ط3 م، ص84.

23 عبد المجيد التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م، المجلة التاريخية المغربية، العدد3 يناير 1975م، تونس ص46.

الاستعانة بخير الدين لوقف الزحف المسيحي على بلاد الإسلام ونجدة أهل الأندلس، فيقول صاحب لرسالة " ونطلب من مولانا السلطان بأن يغيثنا بإرسال خير الدين باشا الى الجزائر، فإنه لهذا الوطن نعم ناصر، وجميع أهل الشرك منه خائف وحاير، والسلام التام على المقام الشريف العالي.. 24، لقد وعد سليمان القانوني بتقديم الدعم بعد توصله بهذه الرسالة، إلا أن هذه الوعود ربما لم تتحقق وما يدل على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها أحد قادة مسلمي الأندلس، وهو ابن عبو سنة 977هـ الى مفتي إستانبول يؤكد فيها على رد سليمان القانوني والوعود التي قدمها لنصرة أهل الأندلس، ويطلب فيها من جديد النجدة والمعونة من الباب العالي مؤكدا بأنه في حالة الفشل فإن المسؤولية يتحملها السلطان أمام الله تعالى 25 .

ومن خلال هذه المراسلات تبين لنا أن أهل الأندلس وبعد فشل دول بلاد المغرب الإسلامي ودولة المماليك في إنقاذ الأندلس، اتجهوا نحو الدولة العثمانية، بعد أن بسطت سلطانها على معظم مناطق العالم الإسلامي وجزئ من أوروبا، وبذلك أصبح لها وزن سياسي وعسكري كبير في حوض المتوسط، فأراد أهل الأندلس استغلال هذا التطور وهذا الظرف المناسب للحصول على الدعم، إلا أن رد فعل الدولة العثمانية كان متباين يختلف من مرحلة الى أخرى، وإن كانت ردود الفعل اتجهت في معظمها الى الوعود بنصرة الاندلس، أما ما تحقق منها فيشوبه الاختلاف بين المصادر، إلا أن ما هو إيجابي هو ذلك الدور الكبير الذي قام به خير الدين في الجزائر والذي تمثل في الحملات البحرية التي كان يرسلها الى السواحل الإسبانية لمساعدة الثورات التي قام بها أهل الأندلس.

في سنة 1529م أرسلت حملة بقيادة أدين رايس وصالح رايس حيث تمكنت الحملة من أسر العديد من الإسبان، كما تمكنت من نقل ما يقارب 600 من موريسكيي بلنسية الراغبين في الهجرة، كما نقلت حملات أخرى خاصة تلك التي قام بها كل من حسن فنزيانو ومراد رايس عام 1584م ما يقارب ألفين من مسلمي الأندلس كانوا يتعرضون للاضطهاد في جهات أليكانت و[26]

وبصفة عامة فإن خير الدين وخلال سبع سنوات تمكن من توجيه 36 بارجة الى السواحل الاسبانية لنقل سبعين ألف من المورسكيين، وإن كانت الروايات قد اختلفت

---

24 فتحي زغروت، المرجع السابق ص369.

25 محمد بن حسين بن عقيل، المرجع السابق، ص98.

26 ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ ج4 العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص44.

حول العدد الصحيح الذي تمكنت الدولة العثمانية من إنقاذه ونقله الى سواحل بلاد المغرب فإن المؤكد أن حكام الجزائر في العهد العثماني بذلوا جهودا كبيرة في مساعدة إخوانهم من أهل الأندلس، ومن جهة أخرى فقد قامت الدولة العثمانية بجهد ديبلوماسي كبير من خلال حروبها المستمرة مع الدول المسحية، وذلك بإثارة المشاكل والخلافات بين فرنسا واسبانيا لإفشال الاتحاد الصليبي ضد المسلمين، كما تحركت الدولة العثمانية في مساعي سياسية لدى معظم الدول الأوروبية لمساعدة الموريسكيين وتقديم الدعم لهم ومساعدتهم على الهجرة والانتقال الى المناطق الإسلامية في أحسن الظروف.

هذا بعض ما قام به العثمانيون لنجدة إخوانهم من أهل الأندلس إلا أن هذا لم يكن كافيا لإنقاذ الأندلس، وهذا الرد العثماني البسيط ربما يرجع الى أسباب عديدة، منها بعد المسافة بين البلدين خاصة مركز الخلافة، ضف الى ذلك شدة الحصار الصليبي على غرناطة والذي حال دون وصول المساعدات وتحقيق التوازن العسكري بين اهل غرناطة والممالك الإسبانية، كما أن المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية وصراعها المستمر مع البابوية والدول الأوروبية، إضافة الى الخلاف والتوتر المستمر مع المماليك في مصر، هذه الظروف حالت دون تحقيق الأهداف المرجوة من الدعم المقدم، وبالتالي فشل ذلك التضامن الإسلامي في إنقاذ الأندلس من السقوط في يد الاسبان، وبهذا ينتهي الوجود الإسلامي في المنطقة ثم يليه الطرد النهائي للمورسكيين من الأندلس.

خاتمة: وفي الأخير يمكن أن نستنتج بعض الحقائق التاريخية من هذا العرض أبرزها، أن الأندلس بعد نهاية الحكم الاموي بدا يعيش مرحلة الاستقرار والضعف مما مكن النصارى من استرجاع العديد من المدن الأندلسية، حيث لم تتمكن لا الدولة المرابطية ولا الموحدية ولا حتى دولة بني نصر في غرناطة من الحفاظ على الوجود الإسلامي في الاندلس رغم المجهود العسكري الكبير.

لقد عانى أهل الاندلس الكثير من سياسة النصارى مما دفع بهم الى طلب النجدة والدعم من إخوانهم المسلمين في بلاد المغرب والمشرق الإسلامي، لقد لبت دول بلاد المغرب هذا الطلب عسكريا وماديا وخاصة الدولة المرينية في المغرب الأقصى، كما قدم المماليك في مصر الدعم المادي والمعنوي، إلا أن هذه المساعدات لم تكن كافية لوقف التهديدات الإسبانية.

وبعد أن بلغت أسماعهم تلك الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية خاصة في حوض البحر المتوسط والدعم المستمر للإسلام، خاصة عندما ارتبطت دول بلاد المغرب الجزائر وتونس وطرابلس بالدولة العثمانية، وتمكن البحارة الاتراك من طرد الوجود المسيحي من سواحل بلاد المغرب، هذه الانتصارات جعلت أهل الأندلس يستنجدون بالدولة العثمانية الناشئة لإنقاذهم من سياسة الإبادة التي فرضتها عليهم محاكم التفتيش.

لقد قدمت الدولة العثمانية الكثير من الدعم العسكري بفضل قوة بحارتها وخاصة الإخوة بربروس، خير الدين وعوج، حيث ساهمت السفن العثمانية في نقل العديد من المسلمين الفارين من الهمجية المسيحية، وقد استقر هؤلاء في مدن بلاد المغرب تحت الحماية العثمانية، بينما فضل البعض الآخر بلاد المشرق الإسلامي وبلاد الترك.

لقد حاول الأتراك التخفيف من ضغط النصارى على المسلمين وخاصة في عهد السلطان بيازيد الثاني وسليمان القانوني.

إن الظروف التي عاشتها الدولة العثمانية من خلال صراعها المستمر مع النصارى في أوروبا كذلك الخطر الصفوي من الشرق إضافة الى المخاطر الكبيرة والمشاكل الداخلية التي كانت تهددها، حالت دون تحقيق اهداف نجدة المسلمين كاملة.

لعب خير الدين دورا عظيما في تقديم المساعدة للمسلمين في الأندلس، حيث أنقذ الآلاف منهم ونقلهم الى المناطق الإسلامية الآمنة.

لقد تراجع الدعم العثماني للأندلس عندما تولى مقاليد الحكم سلاطين ضعاف تخلوا عن المبادئ الإسلامية التي تأسست الدولة من اجلها، وبالتالي فشل الأسطول العثماني في تحقيق الهدف الذي جاء من أجله الى حوض المتوسط وهو إعادة فتح الأندلس وضمها الى الخلافة الإسلامية.

قائمة المراجع:

1-- احمد ياغي اسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان الرياض ط1 1996م.

2--ابن أبي زرع الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس في أختر المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الرباط 1972م.

3-ا بن خلدون عبد الرحمان، ديوان العبر، ج6 دار الفكر بيروت 2000م.

4-ابن الخطيب لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تج، محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية القاهرة 1347 ه.

5-بك محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح احسان حقي، دار النفائس بيروت 2003م.

6-التر عزيز سامح، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية بيروت ط1 1989م.

7-الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال تعريب محمد الشاوش –محمد عجيبة، دار سراس للنشر تونس1993م.

8-السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2004م.

9-سعدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ ج4 العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

10-سحر عبد العزيز سالم، بحوث مغربية ومشرقية في التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1 مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997 م.

11-صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي 1514/1830م، دار هومة الجزائر 2005م.

12-الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار المعرفة بيروت 2006م.

13-عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة ط1 الجزائر 2008م.

14-عطا الله الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو مصرية ط1 1977م.

15-النعنعين عبد المجيد ا، رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م، **المجلة التاريخية المغربية**، تونس العدد3 يناير 1975م.

16-زغروت فتحي، العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس، دار التوزيع والنشر القاهرة 2011م.

17-المقري احمد بن محمد، نفح الطيب، ج4 تح احسان عباس، دار صادر بيروت 1988م.

18-(ـــــــــــــــــ) أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض، ج2 تح مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف القاهرة 1939م.

19-مؤنس حسين، موسوعة تاريخ الأندلس، ج2 مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد القاهرة 1996م.

20-محمد بن حسين عقيل، استجابات إسلامية لصرخات أندلسية، دار الأندلس الخضراء، جدة 1994م.

21-رزوق محمد، الأندلسيين وهجراتهم الى المغرب خلال القرن 16 و17 افريقيا الشرق 1988ط3 م.

22-الونشريسي أبي العباس أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والأندلس والمغرب، ج2 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية المغرب 1981م، ص121.